الدرس الخامس : مقتطفات من كتابي مباحث في اللغة لنور الهدى لوشن و علم اللغة الاجتماعي لهدسون

بين البنى اللغوية والبنى الاجتماعية :

تطرح الباحثة نور الهدى لوشن قضية التطابق بين البنى اللغوية والبنى الاجتماعية وتراها ليس ضرورية ، باعتبار أنّ لغات كثيرة تتطابق من حيث البنية تستعملها مجتمعات لا تربط بين بناها أية قرابة ، والعكس صحيح أيضا، فهناك مجتمعات تتقارب من حيث البنية تستعمل لغات تختلف كل الاختلاف.[i]

وتبرّر الباحثة عدم التطابق الحاصل بين النيتين اللغوية والاجتماعية بسبيل تطور كل من المجتمع واللغة؛ فالتطور الحاصل في المجتمع يكون سريعا ويمكن ملاحظته، في حين أن التطور في بنية اللغة هو تطور بطيء ولا يمكن ملاحظته بيسر ، إلا بعد مرور سنين وأجيال.[ii]

ولكن التطابق لا يعني تلازم التغيير في الوقت نفسه ، فهذا أمر صحيح ، إلا أنّ فكرة حمل اللغة للطرائق الذهنية والعادات والتقاليد والنظم والمستويات الثقافية والحضارية ، لا يمكن أن يغيّب ، بل هو الحاصل بالفعل ، ذلك أنّ اللغة ليست ظاهرة اجتماعية فقط ، تكمن وظيفتها في التواصل فقط ، بل اللغة هي ذاتها السسلوك الاجتماعي والواقعة الاجتماعية. وعليه فغن فكرة اللاتطابق يمكن أن تكون بين مجتمعات مختلفة تستعمل لغة واحدة ، أو بين مجتمعات متقاربة تستعمل لغات مختلفة .

أما أثناء الحديث عن مجتمع واحد ، يستعمل أهله لغة معينة فإن التطابق يكون ، وإن كان غير كتزامن كما ذكرت سابقا.

وتطرح الكاتبة إشكالا من خلال منطلق فكرة عدم التطابق بين البنيتين اللغوية والاجتماعية ، مفاده إذا كانت البنيتان لا تتطابقان فكيف تكون اللغة بعد ذلك مرآة المجتمع، وكيف تعبّر عنه وتعكس ما يصيبه من تحولات؟

وللإجابة عن ذلك الإشكال ترى الباحثة ضرورة التمييز بين مفهومين لكل من اللغة والمجتمع أثناء دراسة العلاقة بينهما.

فعدم التطابق يحصل حينما يكون كلا من المجتمع واللغة معطى تاريخيا اختباريا[iii] ، بمعنى في مرحلة التشكيل الأولى ، أو ما يمكن أن نصطلح عليه بمرحلة التجريب ، تلك المرحلة التي يسعى فيها الإنسان إلى البحث عن وسيلة تمكنه من التعبير عن أغراضه ومقاصده ومشاعره للآخرين ، هنا تمر مرحلة زمنية قبل أن يحدق التواضع او الاتفاق ، وقبل أن يتشكل المجتمع أيضا بفعل الجوار.

أما بعد مرور فترة زمنية معينة ، أو بالأحرى ما يمكن أن نسميه بمرحلة التجريب ، ترتسم ملامح المجتمع كما ترتسم ملامح اللغة التي تم الاتفاق عليها ، " فاللغة والمجتمع على هذا المستوى تكتسبان بالوراثة ، فهما ما وجدنا عليه آباءنا." [iv]

وتحددّ الباحثة بعض نقاط الالتقاء و نقاط الاختلاف بين البنيتين اللغوية والاجتماعية ، نجملها فيما يأتي :

- لا يمكن للبشر أن يغيروا في اللغة أو المجتمع باعتبارهما جوهرا ، وما يمكن تغييره في المجتمع مثلا : المؤسسات والشكل والقوانين والعادات. والأمر نفسه بالنسبة للغة ، فلا يمكن أن نغيّر نظامها الجوهري ، ولكن يمكن تغيير بعض المفردات أو الانتقال في بعض الدلالات من العموم إلى الخصوص أو العكس .

- إن حديثنا عن مفهوم اللغة والمجتمع باعتبارهما معطى تاريخيا وصولا إلى مرحلة الوراثة ، يشكّل سعي الإنسان الدائم إلى تغيير الطبيعة المحيطة به، ومحاولة التكيّف معها ، وما اللغة والمجتمع إلا دليل على نجاح ذلك السعي.

- للغة وظيفة ميتالغوية أو ما يعرف بوظيفة ما وراء اللغة ، لأننا يمكن دراسة اللغة بمعزل عن المجتمع ، أي وصف اللغة باللغة ، في حين لا يمكن لتلك الخاصية أن تتحقق ونحن ندرس المجتمع ، لعدم وجود وظيفة ما وراء المجتمع .

علم اللغة الاجتماعي وعلم اجتماع اللغة ضمن كتاب علم اللغة الاجتماعي لهدسون :

يعرّف هدسون علم اللغة الاجتماعي بأنه " دراسة للغة في علاقتها بالمجتمع." [v] وقد المؤلّف أنّ علم اللغة الاجتماعي جزء من دراسة اللغة، ذلك أنّ قيمته تكمن في قدرته على إيضاح طبيعة اللغة بصفة عامة، وإيضاح خصائص محدّدة للغة بعينها.

ويمكن أن يدرك دارسو المجتمع أنّ حقائق اللغة يمكن أن تزيد من فهمهم للمجتمع . وعليه لا يمكن أن نجد وسيلة يمكن أن تضاهي اللغة في تحديد مميزات مجتمع معين ، أو يوازيها في الدور الذي تؤديه في عملية قيام المجتمع بوظيفته.[vi]

أمّا فيما يخص المصطلح الثاني " علم اجتماع اللغة" ، فيعرّفه هدسون بقوله: " هو دراسة المجتمع في علاقته باللغة ، وهو عكس تعريفنا لعلم اللغة الاجتماعي ." [vii]

- **الفرق بين علم اللغة الاجتماعي وعلم اجتماع اللغة :**

إنّ الاختلاف الكائن بين علم اللغة الاجتماعي وعلم اجتماع اللغة ليس اختلافا في العناصر ، بقدر ما هو اختلاف في محور الاهتمام . فقد نهتم بالبنية الاجتماعية أكثر من البنية اللغوية ، أو العكس. وعليه تظهر هنا العناية التي يوليها الدارس للبنية التي يركّز عليها ، وكذا قدرته على التحليل .[viii]

ويرى هدسون أنّ هناك قدرا كبيرا من التطابق بين العلمين ، بل إنه من غير المجدي التفريق أو الفصل بينهما . ويمكن لكتابه هذا علم اللغة الاجتماعي أن يضم المسائل نفسها لو جاء عنوان الكتاب علم اجتماع اللغة. كما يمكن لهذا الأخير أن يضم مسائل علم اللغة الاجتماعي وقضايا أخرى لم ترد في الكتاب الأول . وخاصة القضايا التي تدرج ضمن ما أسماه هدسون علم اجتماع اللغة الشامل ، الذي يتناول علاقات المجتمع واللغة برمّتها، وهو ما يعدّ مجالا هاما من منظور علم الاجتماع والسياسية، لأنه يعالج قضايا من مثل : أثر تعدّد اللغات في النمو الاقتصادي ، وما يمكن أن تتبناه الحكومات من سياسات لغوية.[ix]

ونشير إلى أنه قد استعملت مصطلحات أخرى للدلالة على العلم الذي يدرس التفاعل الحاصل بين البنيتين اللغوية الاجتماعية ، إلا أنها تحمل المفهوم نفسه تقريبا ، من ذلك : علم اللغة الاجتماعي ، علم الاجتماع اللغوي ، علم اجتماع اللغة، اللسانيات الاجتماعية، اللسانة الاجتماعية، الأنتروبولوجيا اللغوية.

---

[i]– نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، المكتبة الجامعية الأزريطة ، الإسكندرية،2001 م ، ص/188.

[ii]– نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص/188.

[iii]– نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص/189.

[iv]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[v]– هدسون :علم اللغة الاجتماعي ، تر : محمود عياد، ط(2)، عالم الكتب للنشر، القاهرة، 1990 م، ص/16.

[vi] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[vii]– هدسون :علم اللغة الاجتماعي، ص/16.

[viii]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[ix]– المرجع نفسه ، ص/17.